إلا غفرت ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر وإن كان أعطيت سليمان ملكا
عظيما فقد أعطيتك الشفاعة الكبرى واللواء المعقود والحوض المورود وإن
كان جعلت عيسى روحا نجيا فقد قرنت اسمك مع اسمي فلا يقول أحد من
عبادي لا إله إلا الله فلا أقبل منه حتى يقول وأشهد أن محمدا رسول الله ثم قال
يا محمد ألم أجدك يتيما فآويتك قلت بلى أي رب قال ألم أجدك ضالا فهديتك قلت
بلى أي رب قال ألم أجدك عائلا فأغنيتك قلت بلى أي رب قال ألم أشرح لك صدرك
ووضعت عنك وزرك قلت بلى يا رب ومعنى الآية ألم نجدك يتيما صغيرا وفقيرا
كما أنت عليه اليوم فهداك بالتوحيد والنبوة واصطفيتك على كل عبادي ووجدك
يتيما حين مات أبواك ولم يخلفا لك مالا ولا مأوى فجعل لك مأوى تأوي إليه
وضمك إلى عمك أبي طالب وألقى محبتك في قلبه حتى أحسن تربيتك وكفاك
المؤنة ووجدك ضالا عن معالم النبوة وأحكام الشريعة غافلا عنها فهداك
إليها كما قال وإن كنت من قبله لمن الغافلين وقال ما كنت تدري ما الكتاب ولا
الإيمان وقيل ضالا في شعاب مكة فهداك إلى جدك عبد المطلب قال ابن عباس
رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ضل في شعاب مكة وهو صبي صغير فرآه
أبو جهل منصرفا من أغنامه فحمله على عنقه فرده إلى عبد المطلب وقال
سعيد بن المسيب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب في قافلة
ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب في ذات ليلة مظلمة إذ جاء إبليس
اللعين فأخذ بزمام الناقة فعدل به عن الطريق فجاء جبريل فنفخ إبليس
نفخة وقع منها إلى الحبشة ورده إلى القافلة فمن الله عليه بذلك وقيل ووجدك
ضالا لا تدري من أنت فعرفك نفسك وحالك ووجدك عائلا فأغنى أي فقيرا
فأغناك بمال خديجة ثم بالغنائم قال صلى الله عليه وسلم قد أفلح من أسلم ورزق
كفافا وقنعه الله بما آتاه ثم أوصى حبيبنا محمدا صلى الله عليه وسلم باليتامى والفقراء
فقال فأما اليتيم فلا تقهر قال مجاهد لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيما قال الفراء
والزجاج لا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه وتأكل ماله ومن أكله ظلما
ترحل جهنم في بطنه كذا كانت العرب تفعل في أمر اليتيم يأخذوا أموالهم

وينظلموا

سبحانه وتعالى

فحلم أنه قد ضل عن أهله ... فقال له الراعي يا ابن ...

وذلك لما دخل على خديجة ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه أو قعقع عن يمين الباب مائة غلام وعن يسار الباب مائة جارية بيد كل واحد منهم طبق ذهب وفضة فلما دخل بينهم نثروا عليه ذلك كله لما دخل على خديجة قامت بين يديه وقالت له جميع مالي من الصامت والناطق هبة مني إليك فذلك قوله تعالى ووجدك عائلا فأغنى

وحبيبنا صلى الله عليه وسلم معصوم أن ... يا كرما لا أحد ولو كان يخطا بالله لكنه هو وعبد لمن خلا من

١٨٤

وينظلموا حقوقهم فقال سيد الخلق صلى الله عليه وسلم خير بيت في المسلمين بيت
فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه ثم قال
يا ضيعة أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وهو يشير بإصبعيه وأما
السائل فلا تنهر قال المفسرون يريد السائل على الباب يقول لا تزجره
إذا سألك فقد كنت فقيرا فإما أن تطعمه وإما أن ترده ردا لينا جميلا
يقال نهره وانتهره إذا استقبله بكلام يزجره قال قتادة رد السائل برحمة
ولين قال إبراهيم بن أدهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا إلى الآخرة ويلقوا
أوزارنا في اليم قال إبراهيم السائل بريد الآخرة يجيء إلى باب أحدكم يقول
هل توجهون إلى أهليكم شيء يفرحهم وروى الحسن في قوله وأما السائل
فلا تنهر قال طالب العلم ورد جوابه باللين والرحمة والحسن الجميل
قوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث قال مجاهد يعني النبوة والرسالة أي
يا حبيبي بلغ ما أرسلت به وحدث بالنبوة التي آتاك الله عز وجل وقيل النعمة العلم
والقرآن أمره أن يقرأه وقيل اذكر ما أنعمت عليك في هذه السورة من جبر
اليتيم والهدى بعد الضلالة والإغنا بعد العيلة والتحدث بنعمة الله
شكرا وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع إليه معروف فليجبر
به فإن لم يجد ما يجزي به فليثن عليه فإنه إذا أثنى عليه فقد شكره وإن
كتمه فقد كفره ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور وعن الشعبي
عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر
من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله تعالى
والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب
والسنة في قراءة أهل مكة أن يكبر من أول سورة الضحى على رأس كل سورة
حتى يختم القرآن فيقول الله أكبر حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله
ابن أبي بزة وقرأت عليه قال قرأت على عكرمة بن سليمان وأخبرني أنه قرأ
على إسماعيل بن قسطنطين وشبل بن عباد فلما بلغت والضحى قالا لي كبر
حتى تختم مع خاتمة كل سورة فإنا قرأنا على ابن كثير فأمرنا بذلك وأخبرنا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)